أسلوبية الرواية بين ميخائيل باختين وميكائيل ريفاتير

Stylistic novel betweenmikhail bakhtineandmichael riffaterre.

1.سمية خربيش*
somiakherbiche@gmail.com
مخبر نظرية اللغة الوظيفية
جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف (الجزائر)
2. أ.د/ زيوش محمد
جامعة لونيسي بن علي البليدة -2- (الجزائر)

تاريخ الارسال:2020/08/26 تاريخ القبول: 2020/12/04 تاريخ النشر:2021/03/01

لم تحتل دراسة الرواية وتحليلها فيما مضى المرتبة التي تستحقها، بالرغم من المكانة التي تحتلها على ساحة الإبداع الأدبي، فقد انصبت جل الدراسات النقدية واهتمامات الباحثين قديما على المدونات الشعرية فقط تاركين تحليل الأعمال النثرية ظنا منهم بصعوبتها، ولكن مع تطور المناهج النقدية والكتابات الروائية بدأت الأنظار تتجه نحوها، ومع ظهور مدرسة الشكلانيين الروس والمنهج البنيوي تغيرت قواعد دراسة الأعمال الأدبية وفي مقدمتها الرواية، فبعد المبادئ التي جاء بها ميخائيل باخين(Mikhail Bakhtine) بدأت النصوص السردية تدرس بطريقة أسلوبية بنيوية ركز فيها الدارسون على البنية الداخلية للرواية، ومع مرور الزمن ظهر اتجاه سمي بالأسلوبية البنيوية كان زعيمه ميكائيل ريفاتير(Michael Riffaterre) حاول فيه تطبيق معايير أتى بها أثناء دراسة الرواية، لذلك سنحاول من خلال هذه الورقة البحثية إماطة اللبس عن تحليل النص النثري أسلوبيا والكشف عن المبادئ التي أتى بها كل من ميخائيل باختين (Mikhail Bakhtine)وميكائيل ريفاتير(Michael Riffaterre) .

الكلمات المفتاحية: أسلوبية الرواية، الأسلوبية البنيوية، ميخائيل باختين، ميكائيل ريفاتير.

***ABSTRACT* :**

The study of the novel and its analysis in the past did not occupy the rank that it deserves, despite the position it occupies on the field of literary creativity. Most of the critical studies and researchers 'interests in the past focused on poetic blogs only, leaving the analysis of the novel thinking that they were difficult, but with the development of critical curricula and narrative writings, the eyes began to turn towards it and with the emergence of The school of Russian formalists and the structural approach changed the rules for the study of literary works, foremost of which is the novel. After the initiative brought by Bakhtine, the novel began to studyina structural and stylistic manner in which the scholars focused on the novel internal structure and with the passage of time If a trend emerged called structuralist stylism, whose leader Revatir tried to apply criteria that he came up with while studying the novel, the refore we will try through this paper to confuse the study of the novel stylistically and reveal the principles that each of Mikhail Bakhtine and Michael Riffaterre .

Keywords: *Stylistic Novel ; Structural Stylistics ; Mikhail Bakhtine ; Michael Riffaterre.*

1. مقدمة:

من البداهة أن الخطاب السردي يختلف عن الخطاب الشعري من حيث الشكل والبنية، مما ولد اختلافات أيضا في طريقة الدراسة والتحليل، ولكن بحسب ما وصلنا من دراسات وأبحاث بقيت النصوص السردية لمدةمن الزمن أسيرة

* المؤلف المرسل

الدراسات البلاغية الكلاسيكية التي كانت يتناول بها النص الشعري حتى مجيء المدرسة البنيوية، فأصبحت الرواية تدرس بمختلف الطرق بعيدا عما يتناول به الشعر.

وأمام هذه الاختلاف وقف المحلل محتارا أي الطرق والمناهج يستعمل في تحليل وتقويم الرواية، وبعد القراءة والتجريب تبنى معظم المحللون منهجا اعتبروه الأكثر علمية ودقة سموه بالأسلوبية، وأمام هذا الفيض من القراءات اخترنا لكم منظرين ساهما في دراسة الرواية وتحليلها بطريقة موضوعية، هما ميخائيل باختين(Mikhail Bakhtine) وميكائيل ريفاتير(Michael Riffaterre).

وعليه ومما سبق،حق لنا في هذا المقام أن نطرح الإشكاليات التالية: كيف تقرأ الرواية أسلوبيا من منظور كل من ميخائيل باختين(Mikhail Bakhtine) وميكائيل ريفاتير(Michael Riffaterre) ؟ وما هي الإجراءات التي يعتمدها كليهما في المقاربة النصية؟ وهل هذه الإجراءات تحمل صفة الموضوعية أم لا؟.

2.الإجراءات الأسلوبية لمقاربة الرواية وفق منظور ميخائيل باختين(Mikhail Bakhtine):

اشتهر ميخائيل باختين(Mikhail Bakhtine) وسط النقاد داخل العالم العربي وخارجه من خلال إسهاماته في تأصيل لمنهج يساعد الباحث في التنقيب عن الوحدات الجمالية التي يتكون منها النص الأدبي، عُرف هذا المنهج وسط الدارسين بأسلوبية الرواية، يقول باختين (Bakhtine) عنها: (هو تجميع لأساليب، ولغة الرواية هي نسق من اللغات وكل واحد من عناصر لغة الرواية يتحدد مباشرة بالوحدات الأسلوبية التي يندمج فيها مباشرة)[1]

هذا التفاعل بين الأساليب وترابطها معا في نسق جعل من الرواية ذات طابع حواري عند باختين(Bakhtine)، أو ما سماه بالرواية البيلفونية[2]، ولكي تتحقق هذه الأسلبة في النثر لديه يجب أن تتوفر على عدة شروط نراها لاحقا.

1.2 – المفاهيم الرئيسية لأسلوبية الرواية عند ميخائيل باختين:

حاول باختين (Bakhtine) تأسيس نظرية جديدة يعالجه فيها مشكلات التي تصادف المحلل الأسلوبي ويقع فيها أثناء دراسته للنص السردي وخصوصا الرواية الجديدة ، فبعد موجة التحرر التي طالت كل من الرواية والمناهج النقدية التي دعت إلى التخلص من الأشكال التقليدية الكلاسيكية، ظهر منهج الأسلوبية الذي كان يدعو في بدياته إلى دراسة الأعمال الأدبية والتركيز على الأسلوب واللغة فقط، وهو تحليل نوعا ما بنيوي، بعدها أتى باختين (Bakhtine) وطور الأفكار حول التحليل الروائي أكثر.

ولكي تتحقق أسلوبية الرواية حسب نظره يجب أن تتوفر فيها الحوارية التي يكتشفها الباحث عن طريق مجموعة من المصطلحات التي جاء بها وهي : التهجين، الأسلبة، الحوارات الخالصة، وفيما يلي عرض لكل مصطلح على حدا.

أ–التهجين: يعتبر التهجين اللبنة الأولى التي وضع باختين(Bakhtine) ليتم تحليل العمل السردي، وهو عنده: (المزج بين لغتين اجتماعيتين في ملفوظ واحد، إنه لقاء في حلبة هذا الملفوظ بين وعيين لغويين مفصولين بحقبة أو باختلاف اجتماعي أو بهما معا)[3]. أي أن التهجين هو التقاء لغتين داخل سياق كلامي واحد القصد منه هو إظهار الطابع اللساني والاجتماعي الذي تتمتع به الشخصية.وقد تحدث باختين عن التهجين لأول مرة في حقل اللسانيات اللغوية[4].

ب- الأسلبة:

تظهر الأسلبة في ملفوظ واحد وتعتبر الشكل الثاني للحوارية، والأسلبة انعكاس لأسلوب لساني ينتمي لوعي آخر حيث تكون اللغة الدخيلة هي اللغة التي نطقت بها الشخصية[5]، وبالتالي تكون الأسلبة بمثابة إضاءة متبادلة بين اللغات[6].

وقديتداخل مفهومها مع مفهوم التهجين، إلا أنه هنالك فرق بسيط بينهما يتم التمييز بينهما من خلاله:

فالتهجين: لغة مباشرة أ، مع / ومن خلال لغة مباشرة ب في ملفوظ واحد.

الأسلبة: لغة مباشرة أ، من خلال لغة ضمنية ب في ملفوظ واحد[7].

ج-الحوارات الخالصة:

يطلق عليها أيضا ب" الحوارات الدرامية الخالصة "(وهي تعبير عن تصارع أنماط الوعي، والرؤى للعالم كما أنه توجد بين اللغات المتحاورة عبره، لغة منظمة ومُؤَسْلِبَة)[8] ، والحوار الخالص ما هو إلا مكمل للعناصر التي سبقت.

ولا يقصد هنا بالحوار ذلك الحوار العادي بل هل حوار وتبادل لوجهات نظر وأفكار[9]بين الشخصيات داخل النص الروائي،و(حوار الرواية نفسه، بصفته شكلا مكونا، مرتبطا ارتباطا وثيقا بحوار اللغات الذي يرن داخل الهجنة وفي الخلفية الحوارية للرواية)[10].

هذه هي إذن الأشكال الثلاثة التي يحدد بها ميخائيل باختين(Mikhail Bakhtine) أسلوبية الرواية.

3.الأسلوبية البنيوية كآلية بديلة لتحليل الخطاب الأدبي:

طور ميكائيل ريفاتير(Michael Riffaterre) منهج الأسلوبية ودفع بها إلى الأمام من خلال الاتجاه الذي استحدثه والذي سماه بالأسلوبية البنيوية (Stylistique Structurale) لتصبح منهجا موضوعا ذات نظرية شمولية تفتت النص تفتيتا ذريا.و قد عُرف الأسلوب عند ريفاتير(Riffaterre) بأنه:

(Le style est la misse en relief qui impose certains éléments de la séquence verbale à l'attention du lecteur.)[11].

المقلب لصفحات كتاب معايير تحليل الأسلوب يجد الناقد حميد لحمداني قد ترجم هذا القول على النحو الآتي:

(الأسلوب هو ذلك الإبراز (misse en relief) الذي يفرضُ على انتباه القارئ بعض عناصر السلسلة التعبيرية)[12].

حاول ريفاتير(Riffaterre) إعطاء مفهوم علمي ودقيق للأسلوب، فالأسلوب عنده هو تلك العبارات المميزة التي تهجم على انتباه القارئ وتتصيده، فيكسب النص بذلك صبغة فريدة تحمل بصمات كاتبها التي يتميز عن غيره من خلالها ، والملاحظ كذلك عند التمعن في هذا التعريف بأن ريفاتير(Riffaterre) قد أورد كلمة (قارئ) ليجعل منه محورا مهما ويشركه في قلب العملية الأسلوبية، فقد احتضن ريفاتير(Riffaterre) القارئ واهتم به فمنحه حيزا كبيرا في أسلوبيته وجعله إحدى المعايير التي يبنى عليها التحليل الأسلوبي وهذا ما سنراه في السطور القادمة.

1.2 المعايير المعتمدة من قبل ريفاتير(Riffaterre) في التحليل الأسلوبي:

وضع ميكائيل ريفاتير(Michael Riffaterre) مجموعة من المبادئ والإجراءات تساعد المحلل الأسلوبي لشق طريق النص الأدبي، وقد انطلق في تحليله من المقولة الشهيرة (**ليس هناك دخان بدون نار**)[13] (Il n'ya pas de fumée sans feu)[14] التي أراد من خلالها إثبات بأن هناك مثيرات أو **منبهات** (Stimulus) متخفية داخل العمل الأدبي تبعث بإشارات وومضات للقارئ فتكون هي مرتكز أحكام القيمة المكتشفة من خلال قارئ حذق موهوب بملكة اللغة المدروسة.

وتتمثل هذه المثيرات في استعارات وكنايات ومواطن تقديم وتأخير... ولكي تكن هذه المنبهات قوية ذو فعالية يجب على المسنن أن يكون هو كذلك ذكيا بارعا حتى يتمكن من إحكام قبضته عليها وحتى يتمكن من استغلالها في السيطرة على خمول المتلقي ويشد انتباهه إليها فيعطي هذا **المُبَلّغْ L'informateur** ردود أفعال موضوعية يرتكز عليها الأسلوبي وينطلق منها لتحليل العمل الأدبي.

1- القارئ النموذجي:

اهتم ريفاتير(Riffaterre) بالقارئ الذي جعل منه المفتاح الأول للولوج إلى عالم النص واكتشاف مزياه الخفية، هذه العناية التي جعلته يرقى إلى مصاف القارئ النموذجي(L'archilecteur)،يقول عنه:

(L'archilecteur est une somme de lectures, et non une moyenne. C'est un outil à relever les stimuli d'un texte, ni plus ni moins.)[15]

ترجمة هذا القول نجدها بطبيعة الحال عند حميد لحمداني، يقول: (القارئ النموذجي هو مجموع القراءات وليس متوسطا (une moyenne) إنه أداة لإظهار منبهات نص ما لا أقل ولا أكثر.).[16]

لجأ ريفاتير(Riffaterre) إلى القارئ النموذجي(L'archilecteur) واستعان به بغية اكتشاف مواطن الجمال التي تكون مشفرة في النص بسبب قدرته على استجابة لكل مثير أسلوبي ، فجعل منه شريكا أساسيا في عملية التأويل، ومصدرا لاستقراء التميز الأسلوبي، ولكن لا يستطيع فك لغز هذه السمات الأسلوبية إلا قارئ فطن ذكي أسماه ريفاتير(Riffaterre) القارئ النموذجي أو القارئ العمدة.

ومع ذلك إلا أن صلاحية القارئ النموذجي تبقى محدودة بسبب الأخطاء التي قد يقع فيها والتي تعرف بأخطاء النقص أو الإضافة[17] نتيجة لتغير بيئة النص فكما هو معروف بأن النص متحرك غير قار من الناحية الأسلوبية، هذا القصور جعل ريفاتير(Riffaterre) يستدعي معيار آخر هو السياق الأسلوبي.

2- السياق الأسلوبي:

عمد ريفاتير(Riffaterre) إلى اتخاذ إجراء آخر إلى جانب القارئ النموذجي لتحليل العمل الأدبي،وهو السياق الأسلوبي Contexte stylistique ، ونعني به نموذج لساني مقطوع بواسطة عنصر غير متوقع، والتناقض الناتج عن هذا التداخل هو المنبه الأسلوبي.)[18]

(Le contexte stylistique est un pattern linguistique rompu par un élément qui est imprévisible, et le contraste résultant de cette interférence est le stimulus stylistique.)[19].

استحدث ريفاتير كلمة السياق Contexte كبديل عن كلمة المعيار التي كانت تستعمل قبله وذلك تفاديا منه لتوسيع دائرة الانحراف أو الانزياح الغير المحدودة. لأن المعيار يضع المتلقي في دوامة كبيرة لوقوعه خارج النص[20]، كما أنه طور مفهوم الانحراف ليستخلص منه في الأخير مقولة التضاد البنيوي، التي تسمح بإنتاج إجراءات أسلوبية تستند إلى القارئ، إذ تصبح عملية التلقي بمثابة معيار لتحديد الوقائع الأسلوبية التي يتوافر عليها النص الشعري [21] .

والسياق هو قطع عنصرين لسانيين متوقعين بعنصر آخر دخيل غير متوقع، مما يجعل المتوالية الكلامية في تصادم، وهذا التصادم هو الذي يحدث عنصر المفاجأة للقارئ فتكون بمثابة المنبه الأسلوبي، أو القيمة الأسلوبية في هذه المتوالية.

عرف هنري شبليث(Heinrich Pleth) السياق أيضا فقال: (عنصر لساني متوقع متبوع بعنصر غير متوقع).[22]أوردنا هذا التعريف حتى نطعم ونؤكد صحة رأي ريفاتير وحتى يتسنى للقارئ فهم السياق الأسلوبي أكثر نستدل بالمثال التالي: (خرجت من منزلي بالمعادي، مصطحبا معي القبيلة، لنقضي يومين على شاطئ الإسكندرية).[23]

يقف المتلقي أمام هذا المثال وقفة تأمل واستغراب، فقد أحدث كسر السياق عنصر المفاجأة لديه، وتجلى هذا الكسر في: (مصطحبا معي القبيلة)، هذا العنصر اللساني الغير المتوقع الذي قطع عنصرين متوقعين أحدث قيمة أسلوبية ومنبها أسلوبيا أثار انتباه القارئ المتلقي.

وفي هذا المقام يحضرنا قول الجاحظ: (لأن الشيء من غير معدنه أغرب، وكلما كان أغرب كان أبعد في الوهم، وكلما كان أبعد في الوهم كان أطرف، وكلما كان أطرف كان أعجب، وكلما كان أعجب كان أبدع)[24] أي أن القيمة الجمالية في أي عمل أدبي تكون في تلك الغرابة التي تُحدث بعض العبارات مكسورة السياق التي تداعب القارئ حتى ينقاد إليها.

3– التضافر:

لا يغفل على القارئ الذي قلب كتاب معايير تحليل الأسلوب لميكائيل ريفاتير(Michael Riffaterre) عن عنصر ومعيار آخر للتحليل، وهو، التضافر (Convergence)ويعني به : إركام جملة من الإجراءات الأسلوبية المستلقية في نقطة معينة من النص[25] ، يمثل التضافر (Convergence)الوعي التام لاستعمال اللغة، كما أنه يمثل أيضا الشكل الأسلوبي الأكثر تعقيدا الذي يحاول تقوية مثيرة الانتباه.

وهذه المعايير لو طبقناها على أي عمل روائي لأحدثت ثورة في عالم النقد، لأنها ببساطة معايير موضوعية تساعد في اكتشاف بواطن الجمال وتساعد على إعادة قراءة وصياغة العمل النثري.

5.خاتمة:

يمكننا أن نستنتج في ختام هذه الورقات ما يلي:

1– مرت أسلوبية الرواية بأشواط كثيرة حتى تصل إلى ما هي عليه الآن، فقد حققت قفزة نوعية بفضل المبادئ التي أتى بها ميخائيل باختين (Mikhail Bakhtine) وميكائيل ريفاتير (Michael Riffaterre)

2- تتحقق أسلبة الرواية في نظر باختين (Mikhail Bakhtine) عن طريق التهجين، الأسلبة، ا لحوارات الخالصة .

3- دعا ميكائيل ريفاتير (Michael Riffaterre) إلى دراسة النص كبنية واحدة غير متجزئة يفككها المحلل الأسلوبي تفكيكا ذريا عن طريق مجموعة من المعايير هي: القارئ النموذجي، السياق الأسلوبي، التضافر.

6. قائمة المراجع:

- إدريس قصوري، أسلوبية الرواية، ،عالم الكتب الحديث ط1، إربد، الأردن، 2008.
- الجاحظ، البيان والتبين، ج1، تحقيق عبد السلام محمد هارون،ط7، مكتبة الغانجي، القاهرة، 1998 .
- حسن ناظم، البنى الأسلوبية، المركز الثقافي العربي، ط1،بيروت، لبنان، 2002.
- حميد لحمداني، أسلوبية الرواية،النجاح الجديد، ط1،الدار البيضاء، 1989.
- صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته ،ط1، دار الشروق، القاهرة، 1986.
- موسى الربابعة، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها ط1،دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، 2003.
- ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، تر: محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط1،القاهرة، 1987.
- ميكائيل ريفاتير، معايير تحليل الأسلوب، تر حميد لحمداني، ط1،دار النجاح الجديدة – البيضاء- ، 1993
- هنري شبليث، البلاغة والأسلوبية، تر: محمد العمري ،د.ط، أفريقيا الشرق، د.ت.
- Michael Riffaterre، Essais de stylistique structurale ، Flammarion éditeur 26 ،reu Racine، Paris1971.

المقالات:

- آسية متلف، البوليفونية وجماليات تعدد الأصوات السردية في رواية " أشباح المدينة المقتولة " لبشير مفتي، مجلة اللغة الوظيفية العدد التاسع، ديسمبر 2018،ص 144.

مواقع الانترنت:

- صلاح الدين أشقري، التهجين في الرواية العربية الجديدة، www.almothaqaf.com.3/01/2020.10.10
- ليلى بلخير، المبدأ اللساني وتحليل الخطاب الروائي دراسة في أسلوبية الرواية عند ميخائيل باختين، ص 17،
- *http:// www.semanticscholar.org.17.09.2019*

8. الهوامش:

- [1]- ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، تر: محمد برادة، دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع، ط1،القاهرة، 1987، ص 38،39.
- [2]- ينظر، آسية متلف، البوليفونية وجماليات تعدد الأصوات السردية في رواية " أشباح المدينة المقتولة " لبشير مفتي، مجلة اللغة الوظيفية العدد التاسع، ديسمبر 2018،ص 144.
- [3]- حميد لحمداني، أسلوبية الرواية،النجاح الجديد، ط1،الدار البيضاء، 1989، ص 85.
- [4]- ينظر، صلاح الدين أشقري، التهجين في الرواية العربية الجديدة، *http://* www.almothaqaf.com.3/01/2020.10.10
- [5]- ينظر، إدريس قصوري، أسلوبية الرواية، ،عالم الكتب الحديث ط1، إربد، الأردن، 2008، ص 40.
- [6]- حميد لحمداني، أسلوبية الرواية، ص 88.
- [7]- المصدر نفسه، ص88.
- [8]- المصدر نفسه، ص 91.

- [9]- ينظر، ليلى بلخير، المبدأ اللساني وتحليل الخطاب الروائي دراسة في أسلوبية الرواية عند ميخائيل باختين، ص 17. *http:// www.semanticscholar.org.17.09.2019.*
- [10]- ميخائيل باختين، الخطاب الروائي، تر: محمد برادة، ص 124.
- [11]-.Michael Riffaterre، Essais de stylistique structurale ، Flammarion éditeur 26 ،reu Racine، Paris1971p 31.
- [12]- ميكائيل ريفاتير، معايير تحليل الأسلوب، تر حميد لحمداني، ط1،دار النجاح الجديدة – البيضاء- ، 1993، ص 21
- [13]- المصدر نفسه، 36.
- [14]Michael Riffaterre، Essais de stylistique structurale ، p42 -
- [15]-Ibid ، p46.
- [16]- ميكائيل ريفاتير، معايير تحليل الأسلوب، تر: حميد لحمداني، ص 42/41.
- [17]- ينظر، صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته ،ط1، دار الشروق، القاهرة، 1986،ص 209
- [18]- ميكائيل ريفاتير، المصدر السابق، ص 56.
- [19]- Michael Riffaterre، Essais de stylistique structurale ، p57.
- [20]- ينظر، موسى الربابعة، الأسلوبية مفاهيمها وتجلياتها ط1،دار الكندي للنشر والتوزيع، الأردن، 2003، ص18.
- [21]- حسن ناظم، البنى الأسلوبية، المركز الثقافي العربي، ط1،بيروت، لبنان، 2002، ص 76.
- [22]- هنري شبليث، البلاغة والأسلوبية، تر: محمد العمري ،د.ط، أفريقيا الشرق، د.ت، ص، 60 .
- [23]- صلاح فضل، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، ص 229 .
- [24]- الجاحظ، البيان والتبين، ج1، تحقيق عبد السلام محمد هارون،ط7، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1998 ، ص76.
- [25]- ميكائيل ريفاتير، معايير تحليل الأسلوب، تر: حميد لحمداني، ص 60.
- [26]- المصدر نفسه، ص 60.
- [27]- المصدر نفسه ، ص 60.